

وجهة الأديب في العراق

بقلم سليم طه التكريتي

والنشأة ظل الى ما بعد سنة ١٩٣٠ الوحيد بين أدياء العراق من يتقنون الانكليزية وينقلون عنها بكثرة .

وقد دخل الأدب العراقي مرحلة جديدة لدى ظهور الواقعية « الريالزم » فيه ببروز طبقة جديدة من أدياء الشباب تفتحت ابصارهم ليس فحسب الى ما يبدعه الفكر الغربي من علوم وفنون ، وما يدين به من عقائد وافكار ، وانما الى واقع الحياة العراقية وما يعجز به المجتمع العراقي من تناقضات ، ويصطرح بين طبقاته المتخاصمة من رغبات .

لقد شرع اولئك الأدياء لأول مرة في العراق يغوصون في اعماق مجتمعهم فيدرسون ادواءه ويردونها الى اصولها الحقيقية التي نجمت عنها .

لقد شرعوا يعنون بحالة الفلاح وما يلقاه على يد الاقطاع الخيم بكله على العراق من مختلف الوان الشقاء ، وضروب السلب والاستغلال . أجل هذا البائس الذي يعيش مع البهائم يشاركها ماكلها وماواها ، يفني زهرة حياته في التعاسة والحرمان في حين يتدفق ما تنتجه يده ذهباً خالصاً الى جيوب طائفة ضئيلة تنفق في اساليب الاسراف والافتاق ، وتبتدع صنوف المذات والشهوات .

وبدأوا يعكفون ايضاً على دراسة اوضاع العامل هو الآخر فيصفون قسوة العمل الذي يكدح فيه ليل نهار وتفاهة الأجر الذي يعود عليه من وراء كدحه الماضي ذاك، وضخامة الارباح التي تتكدس في خزائن ارباب العمل ، ثم يرسمون بعد ذلك خطط الاصلاح العام الذي ينبغي ان يقوم على أسس اقتصادية بحثة تهيب للنكاحين الاستفادة من ثمرات جهودهم ، واحلالهم المنزلة اللائقة بهم باعتبارهم الطبقة المنتجة التي تقوم على سواعدها اركان المجتمع وقواعده المتينة .

وقد تمثل هذا الاتجاه الواقعي في كثير من ضروب الانتاج الفكري فكان هناك بعض من اخذوا يعالجون كتابة الأقصوصة الواقعية، وآخرون ممن يكتبون البحوث الاجتماعية والاقتصادية على أساس التحليل الواقعي .

ظهرت الحركة الأدبية في العراق بشيء من القوة والسعة في اعقاب الحرب العالمية الأولى كامتداد لحركة البعث العربي التي بدأت بمصر في فجر نهضتها الحديثة وسرت منها الى اقطار عربية اخرى ، كان من بينها العراق الذي جاءت النهضة فيه متأخرة ، لعوامل عدة ليس مجال شرحها الآن - عن بقية البلدان العربية الواقعة على سواحل البحر المتوسط .

ولقد كانت الحركة الأدبية في العراق ترسم عند بداية ظهورها الطراز القديم، سواء كان ذلك في معالجة الفريضة او مزاولة النثر ، حيث لم يخرج هذا او ذاك عن نطاق المواضيع التي كانت تغلب عليها سمة المحاكاة بأسلوب لا يختلف عن الاسلوب القديم إلا قليلاً .

على انه ما ان قصرت المسافات بين اطراف المعمورة بتوسع استخدام وسائل النقل العصرية بعد الحرب الاولى ، حتى اخذ العراق يتلقف المزيد من النتاج الفكري في مصر ولبنان، ذلك النتاج الذي كان في ذاك العهد يمثل طورين من أطوار الفكر او مدرستين فكريتين : اولاهما المدرسة القديمة التي قبضت على ما تركه العرب من آثار وأفكار فالتزمت بصيغتها وأساليبها وأبت ان تعيد عنها ، وثانيتهما المدرسة الحديثة التي تلتفت بنتاج الفكر الغربي فعدت تحاول محاكاته وترسم خطاه ونقل طرف من فيضه الى لغة الضاد .

وسرعان ما تأثر حملة الأقلام في العراق ، وهم قلة ضئيلة في تلك الأيام ، بهاتين المدرستين فراحوا ينسجون على منوالهما ، بل ويقلدونهما في كل شيء ، حتى جاء زمن كان فيه التفكير والاسلوب المصريان هما الغالبين على الحياة الأدبية في العراق ، وكان فيه كل اديب عراقي تقريباً وقد اتخذ له مثالاً احد اعلام تينك المدرستين يحذيه في اسلوبه ، ويحاكيه في حذلقته ومثاله .

والذي اعتقده ان مرد ذلك التقليد يعود بالدرجة الأولى الى قلة الملمين باللغات العالمية الكبرى من الأدياء العراقيين آنذاك ، وعدم استطاعتهم النقل عنها الى العربية ، الى درجة ان المرحوم الأستاذ عبدالمسيح وزير - وهو لبناني المولد

وحق الشعر لم يعد بدوره فيضاً من الواقعية إذ أخذ يعرض صوراً حية ناطقة عن حياة العامل والفلاح وما جره الاستعمار والمتعاونون معه من الحكم ، من بلاء على البلاد . وكان جماعة جريدة « الأهالي » واصحاب « الصحيفة » من قبلهم قصب السبق في الاخذ بالواقعية وتغليبها على النتائج الفكرية في العراق إذ وضع هؤلاء نواة الادب السياسي الذي يهيمن اليوم على الحركة الثقافية الى ربوع الرافدين .

وجاءت الحرب العالمية الثانية فأحدثت من التغيير الفكري في العراق ما أحدثته في غيره من الاقطار، فلقد فتحت عيون الشعب العراقي خلال تلك الحرب وما بعدها فأخذ الوعي يتزايد بين افراده ويفتح امامهم مجالات واسعة من المعرفة والاطلاع ، ويدعمهم يدر كون مصالحهم ادراكاً تاماً، ويميزون بين العدو والصديق ، ويفرقون بين دعي الوطنية والاخلاص وبين رائدها الحقيقي .

لقد شهد العراق في هذه المرحلة انقلاباً فكرياً واسعاً تمثل في استعداد الحركة الوطنية ، وغلبة النزعة التحررية في النتاج الفكري ، وظهور انعطاف كبير نحو الحركات التقدمية والافكار الانسانية، فأخذ الشباب العراقي يلتهم بشراهة كل ما يصل الي يديه من نتاج يتحدث عن كفاح الشعوب في سبيل خلاصها من ربة الاستعمار، ودك حصون الرجعية ، وفك اسار العبودية الآخذة بجناقها ، وما تتطلع نحوه من مستقبل يرفرف

فيه السلام وتنعم فيه البشرية بالأمن والرخاء والمودة . وكان من آثار هذا الانعطاف التقدمي في الفكر العراقي ، ذلك الفيض القيم الذي اخرجته المطبعة العراقية في العشر السنوات الماضية - بين منقول وموضوع - من بحوث علمية ودراسات سياسية واجتماعية تتصل بصميم حركة الشعب في كفاحه من اجل تحطيم قواعد الاستعمار ، وتقويض دعائم الاستغلال ، وتحقيق العدالة الاجتماعية وتمهئة حياة حرة سعيدة للمجموع .

ومع ان الابداعية لا تزال تحتفظ حتى الآن ببعض المراكز في الحركة الثقافية في العراق، الا ان تلك المراكز اوهن من ان تصمد امام تيار الواقعية المتعاضم .

كما لم يعد العراق نفراً ضئيلاً جداً من بعض الساديين الذين اخذوا ينحون منحى « السريالية » في انتاجهم وتفكيرهم، ولكن هؤلاء من القلة وخمود الذكر بحيث لا يؤبه لهم مطلقاً .

وأخيراً فقد تميزت الفترة الاخيرة بغلبة القصة والشعر السياسي على غيرهما من ضروب الانتاج الفكري ؛ ويظهر مدى غلبة النزعة الانسانية التقدمية في الادب العراقي الحديث من انه ما يكاد يظهر كتاب تقدمي حتى تتلفه ايدي القراء وينفذ بسرعة عجيبة ، وان الصحف التقدمية كانت تحتل الصدارة في سعة الرواج والانتشار والاهتمام .

بغداد سليم طه التكريتي

الكتب الادبية والمدرسية على اختلاف انواعها

احدث المطبوعات ومجلات الازياء لعام ١٩٥٣

مبيع واصلاح عموم اصناف اقلام الحبر

القرطاسية بأنواعها وادوات المكاتب

كل ذلك مجروداً دائماً في

مكتبة هاشم

بيروت
شارع سوريا

٨٣/٢٦

الوكيل العام لمجلة « الآداب »

ومنشورات « دار العلم للملايين »

في تونس

دار الكتب العربية الشرقية

لصاحبها السيد محمد خوجه